

مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة

الدكتور عبد الرحمان باقرزاده
الاستاذ المساعد في كلية الإلهيات والدراسات الإسلامية - جامعة مازندران -
الجمهورية الإسلامية الإيرانية
a.bagherzadeh@umz.ac.ir

A comparative study of Ibn Arabi and Mulla Sadra's views on the necessity of referring to a perfect human being

Abdorrahman Baqerzadeh
Assistant Professor at the Faculty of Theology and Islamic Studies -
University of Mazandaran - The Islamic Republic of Iran

Abstract:

In the contemporary world, there is a lot of emphasis on rationalism, but due to the limitations that limit human intellect, the process of cognition depends on other things as well. This issue can be seen in the works of various Muslim and non-Muslim thinkers. The intellectual limitations of man must be supplemented by other things in order to acquire the proper knowledge to attain true happiness. This article deals with the views of Ibn Arabi and Rumi on the way to compensate for the limitations of human intellect by descriptive-analytical method and citing library sources.

The findings of this article are the emphasis of each of these two thinkers on the limitations of reason and the impasses that lie ahead, and the need to pay attention to the teachings of the true and most complete religions. Ibn Arabi and Rumi jointly paid attention to the issue with different methods that by choosing a guide that was explained in monotheistic religions, man can overcome the limitations of reason and walk on the path of transcendence.

Key words: Ibn Arabi, Sadr al-Din Shirazi, The Perfect Man, Limitations of Reason, Shari'a.

المخلص:

في العالم المعاصر، هناك الكثير من التأكيد على العقلانية، ولكن بسبب القيود التي تحد من العقل البشري، فإن عملية الإدراك تعتمد على أشياء أخرى. يمكن رؤية هذه المسألة في الأعمال المختلفة للمفكرين المسلمين. يجب أن تُكَمَّل المحددات العقلانية للإنسان بأمور أخرى من أجل اكتساب المعرفة الصحيحة للوصول إلى السعادة الحقيقية. يتناول هذا البحث آراء ابن عربي وملا صدرا لحي يجد طريقة لاسترداد محددات العقل البشري بالمنهج الوصفي التحليلي والاستشهاد بمصادر المكتبة. إن نتائج هذا البحث هي تأكيد كل من هذين المفكرين على محددات العقل والمآزق التي يواجهونها، وضرورة الاهتمام بتعاليم الأديان التوحيدية ودين الإسلام، وهو أكمل الأديان، نظر ابن عربي وملا صدرا في الموضوع بشكل مشترك من خلال الرجوع إلى الشريعة التي تم شرحها في الأديان التوحيدية، يمكن للإنسان أن يتغلب على حدوده المعرفية ويسير في طريق التعالي.

الكلمات المفتاحية: محي الدين بن عربي، صدر الدين شيرازي، الشريعة، محددات العقل، السعادة.

التمهيد:

إحدى النقاشات التي يتم تناولها في كل مدرسة فكرية هي نظرية المعرفة التي تعادل "نظرية المعرفة" (epistemology). الكلمة لها جذور يونانية وتتكون من كلمتين (episteme) تعني المعرفة و(logos) تعني نظرية أو تفسير أو أساس عقلائي. هذه الكلمة بشكل عام تعني نظرية المعرفة (شمس، ١٣٨٧: ٢٨). نظرية المعرفة هي الأساس في تقييم أنواع المعرفة البشرية ومبادئها وأدواتها ومعاييرها التقييمية، والتي جوهرها التفسير العقلائي للعقل البشري في الوصول إلى الواقع (شيرواني، ١٣٨٥: ٤٣). مما لا شك فيه، كل البشر لا يصلون دائماً إلى الحقيقة ويرتكبون الأخطاء أحياناً. على سبيل المثال، تسببت رؤية الخشب المكسور في الماء، وروؤية السراب، ودوران أضواء الشوارع في التشكيك في كل العلوم. من ناحية أخرى، نظراً للتطورات المختلفة للبشر في العلوم التجريبية، فإن معرفة الأمور غير التجريبية تتطلب مساراً آخر يتم اعتباره في نظرية المعرفة.

واحدة من الأسئلة التي تم تناولها في هذا البحث هو ما إذا كان البشر المعاصرون الذين بلغوا قدرات فكرية كبيرة فيما يتعلق بالعلوم التجريبية، يمكنهم الوصول إلى طريق التميز والكمال بالحواس والعقل الخارجيين. يرى ابن عربي أن العقل البشري يسبب الإدراك النظري والعملي، مما يجعل دوره غير قابل للإصلاح (ابن عربي، دون تا، ج ١: ٢٨٨). وفقاً للإرادة البشرية الحرة، من الضروري أن تكون هذه القوة حاضرة في البشر حتى تشكل الإرادة الحرة للإنسان بالمعنى الحقيقي. بالطبع، لعقل الإنسان حدود لا تكفي وحدها لقيادة الإنسان إلى السعادة والخلاص. والسبب الرئيسي لهذه القيود هو أن المعلومات تنتقل من قوى أخرى مثل البصرة إلى سلطة العقل، مما يؤدي أحياناً إلى سوء الفهم ونوع من التقييد لدى البشر. لهذا السبب، فإن الطريقة الوحيدة لاسترداد محددات العقل هي طاعة الله تعالى، وهو ما ينبغي السعي إليه في الشريعة ومفسريها (المصدر نفسه، ج ٣: ١٦٠). صدر المتألهين الشيرازي، مثل ابن عربي، يهتم بأهمية دور العقل البشري ويعتبره سبباً لاختلاف التصورات التخيلية والإيجابية (صدر المتألهين، ١٣٥٤: ٢٥٨). وفي إشارة إلى قصور العقل البشري في أمور مثل البرزخ ويوم الحشر وعالم الملكوت، يشير إلى ضرورة الرجوع إلى أمناء الشريعة للحصول على المعلومات المناسبة في هذه الحالات (صدر المتألهين، ١٤٢٢: ٤٤٤).

لهذا السبب تسعى هذه الدراسة بمنهج الوصفية التحليلية إلى تحليل آراء كل من ابن عربي وملا صدرا حول الدور المهم للشريعة الإلهية في الإصلاح المحددات الناتجة من العقل البشري لتحقيق السعادة الأبدية. أولاً: محددات العقل البشري موضحة من وجهة نظر ابن عربي ثم من وجهة نظر ملا صدرا، وبعد ذلك تُهتَمُّ حاجات البشر للشريعة.

٢. محددات العقل البشري

بدأ كل من العالمين؛ ابن عربي وملا صدرا في الرجوع إلى الشريعة من خلال حدود الفكر البشري ووصلاً إلى سلطة الشريعة. نظراً لوجود العديد من القيود على العقل البشري في مجال العلوم المختلفة، وخاصة العلوم غير التجريبية، فمن الضروري الرجوع إلى الرسالة الإلهية التي قدمها الأنبياء والقديسون لفهم التعاليم الدينية بشكل صحيح.

٢-١- آراء ابن عربي

تم مناقشات مختلفة حول المعرفة والعلم ونطاق العقل البشري تحت عناوين مختلفة في أعمال ابن عربي. وهو يعتقد أن العلوم تنقسم إلى ثلاثة أنواع: العلم العقلاني والعلم البدهي وعلم الغموض. وينقسم العلم العقلاني إلى نوعين: واضح ونظري (ابن عربي، دون تا، ج: ١: ٣١). يتبع العقل البشري قوى مختلفة مثل الذاكرة، والتصور، والخيال، والحواس الخمس مثل اللمس، والشم، والتذوق، والسمع، والبصر. (المصدر نفسه: ٢٨٨) كل من هذه القوى تنقل المعلومات إلى العقل حيث يتم تحليلها وفي بعض الأحيان تثير رد فعل محدد؛ على سبيل المثال: لقد سمع مخلوقاً خاصاً لإدراك معين، والذي عادة لا يتجاوز هذا الحد من الإدراك، وجعل العقل بحاجة إليه، بحيث يمكن إعلامه بمعرفة الأصوات، وتجزئة الحروف، وتغيير الكلمات وتنوع الكلمات. نتيجة لذلك، ميز بين الأصوات المختلفة مثل أصوات الطيور والرياح والتيارات المائية وما إلى ذلك. إذا كانت قوة السمع لا تجلب هذه الأشياء إلى العقل، فإن العقل وحده لن يكون قادراً على فهمها. (المصدر نفسه: ٢٨٩)

يرى ابن عربي أن العقل البشري، كقواه وحواسه، محدود ولا يتعدى حدوده: ((وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت)) (المصدر نفسه) لهذا السبب، من وجهة نظره، قد يكون ذلك مستحيلاً في العقل، لكنه ليس مستحيلاً من

مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة (٢٠٥)

حيث العلاقة الإلهية، والعكس صحيح أيضاً. (المصدر نفسه: ٤١) لقد زود الله عبده بمعرفة أمور مختلفة، يمكن فهم بعضها من خلال العقل وحده. وآخرون يرون في جواز التفكير مع أن العقل لا يصلهم بالفكر. يعتبر البعض أنه فكر جائز، لكن من المستحيل تحديده والوصول إليه من خلال الفكر. وأخيراً بعض هذه الأمور مستحيلة من وجهة نظر الفكر، ويقبلها العقل على أنها مستحيلة من وجهة نظر الفكر، ولا تثبت إمكانية ذلك، ولكن عندما يكون العقل خاضعاً للرحمة الإلهية، يعطيه الله معرفة مثل هذه الأشياء. يعطي البركة ويقبلها على أنها "حدث صحيح ومعقول ومستحيل. لكنه لا يزال مستحيلاً من حيث الفكر. (المصدر نفسه، ج ٢: ١١٤)

ومن النقاط الأخرى التي أشار إليها ابن عربي في كتاباته أنه كما أن معرفة الله تعالى ليست في قوة العقل، فإن معرفة وجوب الواجبات وحرمة النهي وإذن بالعقوبات هي خارجة عن سلطة العقل وهي خاصة بالشريعة المقدسة. الشريعة التي يجب على المرء أن يؤمن بها بحزم وبشكل مائل ويتجنب التفسيرات المماثلة القائمة على الآراء الشخصية. يعتبر عدم تجنب هذا العمل سبباً لعدم توصيل إلى السعادة في الإيمان ويعتقد أن مثل هؤلاء الناس لن يخلصوا. مثلما لا تستطيع عين البصر فهم العقل، كما أن فهم الرؤى دون وساطة البصر أمر يفوق قوة العقل. كما أن العقل غير قادر على تحقيق معرفة الجوهر والصفات والاعتراف بقواعد الكائن الأسمى دون وساطة الحقيقة. (المصدر نفسه: ٦٦٠)

في رأيه، يتلقى الرسل الإلهيون و"شعب الله" الكاملون الذين هم قديسي الله علمهم من الله. (المصدر نفسه، ج ١: ٢٧٩) فكما يعلم الله الرسل وورثتهم. وثانياً قال الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢) (المصدر نفسه: ٢٧٢). لذا، فإن البشر الذين بلغوا درجات السمو يتلقون معرفتهم من الله، والإشارة إليهم سبب لإصلاح وإسترداد المحددات الحسية والعقلية لدى البشر.

من جهة أخرى، بعد النبي الكريم ﷺ سيكون هناك أناس كالخليفة الإلهية يعرفون علم الشريعة كالنبي ﷺ. لأنهم سيتعلمون تلك المعرفة من نفس المصدر: ((فالخليفة عن الرسول من يأخذ الحكم عنه ﷺ، أو بالاجتهاد الذي أصله أيضاً منقول عنه ﷺ، وفيما من يأخذه عن الله فيكون خليفه عن الله... وهو في حقه ما يعرف من صورة الأخذ، مختص

(٢٠٦).....مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة

موافق... فنقول فيه بلسان الكشف ((خليفة الله)) و بلسان الظاهر ((خليفة رسول الله))....
فلله خلفاء في خلقه يأخذون من معدن الرسول ﷺ ((ابن عربي، ١٩٤٦: ١٦٣).

لذلك فإن الرجل المثالي الذي يضم الأنبياء وغيرهم ممن يلعبون دوراً بين المخلوقات
مثل الخاتم وقلب العالم بعد النبي الكريم ﷺ، يتلقى المعرفة من المصدر الإلهي. هم المرجع
العلمي في الشريعة ومسار الخلق والوصول به إلى كمال الإنسان النهائي.

والسبب الثاني أن محي الدين ذكر هذه المقدمة ما يلي: ((فإن رساله والنبوه تنقطعان
والولاية لا تنقطع ابدأ)) (المصدر نفسه: ٦٢). وفقاً لهذه المقدمة، فإن الرسالة والنبوة أرضية
وتنتهي يوم من الأيام، لكن الولاية سماوية ولانهاية لها. بعد النبي الكريم ﷺ، يتبع
الإنسان الكامل الولاية في جميع الأوقات ويؤدي فريضاته الخارجية والداخلية. وفي مقدمة
أخرى، يذكر أن خاتم قدس الله يستمد الشريعة وأحكام الدين من معدن واحد، مثل
رسول الله ﷺ: ((و هو ظاهره و ما يتبعه فيه من الاحكام، كما هو اخذ عن الله في السر ما
هو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لانه يري الأمر على ما هو عليه، فلأبد أن يراه هكذا و هو
موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فانه أخذ من المعدن الذي ياخذ منه الملك الذي يوحى به
إلى الرسول)) (المصدر نفسه: ٦٣). فكما أن رسول الله ﷺ يتعلم معرفة الشريعة وغيرها
من ملك الوحي وينقلها إلى الناس دون أي نقص، كذلك يتعلم الإنسان الكامل الموجود
من بعده هذه المعلومة.

ويشير في فتوحاته إلى خاتم أولياء محمد ﷺ واوصيائه، وهو الإمام مهدي ﷺ، الذين
تلقوا علم الشريعة من الله تعالى وأصبح مرجعاً لغيرهم من البشر. محي الدين في إشارة إلى
عصمة ذلك الإمام وبرأته من القياس والاجتهاد. (ابن عربي، دون تا، ج ٣: ٣٣٧) ويشير
إلى: أن مهدي ﷺ يعرف القياس لتجنب ذلك، وليس كوسيط للحكم. لذلك فإن الإمام لا
يحكم إلا بإغراء وإلهام الملائكة الهداية إلى طريق الثواب، وما يحكمه هو شريعة محمد،
حتى لو كان الرسول الكريم ﷺ حياً و رفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بما يحكم
هذا الإمام فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدي فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص
التي منحه الله إياها... (المصدر نفسه: ٣٣٥) وبعد بيان: أن خاتم الأولياء يحكم كخاتم
الرسول، يشير إلى رواية عن رسول الله أنه ﷺ قال في صفات مهدي ﷺ: أنه يتبعني ولم

مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة (٢٠٧)

يخطئ أبدا. ثم يصرح: فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى... (المصدر نفسه).

والسبب الثالث هو أنه "في مسيرة صعود الطالب إلى الله، يتم توفير بيئة علمية له. إن مثل هؤلاء البشر، كالأنبياء والقديسين والورثة الإلهيين، محرومون من أي انتماء ويسيرون في هذا الطريق حتى يصلوا إلى العزوبة الكاملة. "في هذه الحالة أصبحت مادة بسيطة، ونتجت عن ذلك فهم تفاصيل المناصرة". (جندي، ١٣٦١: ٦٢٩) وبالطبع، في هذا الصدد، للإنسان المثالي طبقات مختلفة، يكتسب بعضها معرفة ومكانة أعلى من غيرها. وفي هذا الصدد يرى محي الدين في كتاب المعرفة أن كل واحد من الرسل يكتسب العلوم الإلهية حسب ظروف مكانه وزمانه ومكانته. ويضيف: "اعلموا أن الرسل من حيث رسالتهم ينقلون إلى الأمة نفس المعرفة التي تتطلبها مواهبهم وقدراتهم، ولا يجوز أن يكونوا أكثر أو أقل من ذلك؛ لأنهم يعبرون عن أحكام أفعال الأمة ويدعون إليها بحسب مصالح أمتهم الدنيوية والعالمية. إن الرسل أولياء الله، "ولكن لأنهم أنبياء وأولياء، فإن معرفتهم حسب مواهبهم وقدراتهم، عليهم السلام وبركاته". (ابن عربي، ١٣٩١: ١٢٥) وبسبب محددات العقل البشري والحواس الخمس، من أجل تحقيق السعادة المطلقة، يجب الانتباه إلى الشريعة وأولياء الله. بدون هذا الشيء المهم، فإن الوصول إلى التميز والخلاص هو طريق منحرف ويجعل الإنسان يسير في حدوده وأخطائه.

٢-٢- آراء ملا صدرا

في مدرسة صدرا، العقل من قوى الروح ومستوياتها. تم تقسيم النفس إلى ثلاثة أنواع عامة. النفس النباتية، وتعني الكمال الأول للجسد العضوي لأنه ينشأ وينمو. النفس الحيوانية، وتعني الكمال الأول للجسم العضوي الطبيعي لأنه يفهم التفاصيل ويتحرك مع الإرادة. النفس البشرية، وتعني الكمال الأول للجسد الطبيعي العضوي، لأنها تفهم الأمور العامة وتقوم بالعمل الموجود عن طريق الاختيار العقلاني والاستدلال النظري. (صدر المتألهين، ١٩٨١: ج ١: ٢٨٥، ٤٣، ٢٣، ٣٣٠؛ ج ٢: ٨٢-٩٣).

ويشير إلى أن العقل البشري ينقسم إلى قسمين، "قوة عالمة وقوة عاملة، فبالأولى تدرك التصورات والتصديقات وتسمى بالعقل النظري والقوة النظرية، وبالثانية تستبطن الصناعات

الإنسانية و تعتقد القبيح و الجميل فيما تفعل و تترك، كما أن بالنظرية تعتقد الحق و الباطل فيما تعقل و تدرك، و تسمى بالعقل العملي و القوة العملية". (صدر المتألهين، ١٣٥٤: ٢٥٨) على الرغم من أن العقل البشري قادر على التعرف على المعرفة و الحقائق الظاهرة و غير الظاهرة، إلا أنه وصل في بعض المراحل إلى العجز و القيود و عدم القدرة على معرفة الأشياء. في المناقشات مثل أسماء الله تعالى و صفاته، و علم النفس، و تفاصيل يوم الحشر، و الجنة و النار، و علم يوم الحشر، و قيامة عالم الروح، و الصعود الروحي للنبي، و ما إلى ذلك، يجد ملا صدرا من المعرفة العقلانية. في "مفاتيح الغيب"، في إشارة إلى معرفة أسماء الله و صفاته، يعتبرها مستحيلة بالمنطق و العقل الفلسفي. بل إنه يشير إلى أنه "بسبب دراسة الأقوال المختلفة و المتكررة و دقتها، لا يمكن الفهم بالعقل". (صدر المتألهين، ١٣٦٣: ٣٣٣)

و يشير إلى قضايا لم يصل إليها فيلسوف و لم يتم إعطاء أي من هذه المعارف و الأحجار الكريمة؛ و ذكر صدرا أن السبب في ذلك هو "عدم الدخول عبر النافذة الخاصة بتلك القضايا التي كانوا راضين عنها بالسراب". (صدر المتألهين، ١٣٦١: ٢١٨) واحدة من تلك القضايا هي مسألة المعاد الجسدي. يعتقد أنه بسبب هذه المحددات، يجب الرجوع إلى الكتاب و التقليد. فهو يرى أن كل ما يتضمنه الكتاب و التقليد صحيح و لا يمكن قبول ظهوره. في كتابه "شرح هداية الأثرية"، يشير إلى عدم قدرة العقل على فهم القيامة القرآنية، يشير إلى هذه النقطة: ليس من المستحيل إعادة النفس في القيمة إلى بدن مثل بدن الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه، كما نصت عليه الشريعة صراحة و روايات كثيرة متظافرة لأصحاب العصمة و الهداية غير قابلة للتأويل، فيلزم الإقرار و التصديق بهذه القيامة. "لأنها من ضروريات الدين، و إنكارها كفر مبين و لا استبعاد فيها". (صدر المتألهين، ١٤٢٢: ٤٤٤)

كذلك، في رسالة المسماة ب: ثلاثة اصول، من خلال التأكيد على عدم قدرة العقل النظري على معرفة يوم القيامة، و قيام و انتشار عالم الروح، و ما إلى ذلك، يؤكد على إصلاحه بالوحي في الشريعة الإلهية. يكتب في هذا الصدد: "وحيث لا تذهب الحواس إلى المطلوبة الرئيسية حتى يستتير العقل بنور الحب، و كما أن الحواس غير قادرة على إدراك الأدلة القوية، فإن العقل النظري غير قادر على إدراك الأمور الأولية في الآخرة. و هذا هو

مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة (٢٠٩)

علم يوم الحشر الذي يصل إلى خمسين ألف سنة من الدنيا، وسر الحشر ورجوع الخلائق لرب الكون وحشر النفوس والأجساد وإصدار الكتب ونحوها ودلالة الطريق والمقدار والاختلاف بين الكتاب والقرآن وسر الشفاعة ومعنى كوثر والأنهار الأربعة، وشجرة التوبة، والسماء، والنار، وطبقات كل منها، ومعنى الأعراف ونزول الملائكة والشياطين، وكرام الكاتبين، وسر المعراج الروحي والجسمي، الخاص بخاتم الأنبياء وآله صلي الله عليهم وغيرها من أحوال الآخرة. وكل ما ورد عن الأنبياء عليهم السلام في هذا الموضوع هو كل العلوم والوحي بأن العقل النظري عظيم في الفهم، ولا يمكن فهمه إلا في ضوء اقتضاء نزول السيد العربي وأهل البيت النبوة والولاية عليهم السلام. "ولا نصيب فيه أهل الحكمة واللاهوت". (صدر المتألهين، ١٣٤٠، ج ١: ٥٨)

وأشار ملا صدرا إلى عروج الرسول الكريم ﷺ الذي حدث روحيا وجسميا، اعتبر العقل البشري غير قادر على فهمه واعتبر قبوله ممكنا فقط وفقا للشريعة. ويرى أن هذه الأحداث لا ينبغي إخراجها من مظهرها الأصلي ومعناها دون ضرورة دينية أو ادعاء عقلاني. ويعتبر صراحة أن من حرقها عن ظاهرها أو أولها عن مفهوم الأول من غير ضرورة شرعية أو داعية عقلية، فهو عندنا مبتدع أو كافر. (صدر المتألهين، ١٣٥٤: ٤١٢). وينشد في هذا الصدد:

اي دوست حديث عشق ديگر گونست	وز گفست و شنيد اين سخن بيرونست
گر ديده دل باز گشائي نفسى	معلوم شود كه اين حكايت چونست
راه توحيد را بعقل مجو	ديده روح را بخار مزار

(المصدر نفسه، ١٣٤٠: ٥٨-٥٩)

هو في شرح اصول الكافي، في إشارة إلى هذه القضية، يرى أن عقول البشر غير كافية في المعرفة، سيما ما يتعلق منها بأحوال المعاد وحشر الأجساد وأن الطريقة الوحيدة لإزالة القيود هي اللجوء إلى البشر الكاملين والشرعيين الذين أتى بهم الله تعالى. لذلك، "إن وجود مثل هؤلاء البشر الكاملين مثل الرسل الإلهي أو من يستخلفهم ضروري، لزيادة المعرفة البشرية بالميتافيزيقا، وما إلى ذلك، من أجل إنهاء حجة الله لهم". "كمراجع علمي في الشريعة سيزيد من المعلومات الضرورية التي يحتاجها الإنسان". (صدر المتألهين، ١٣٨٣:

(٢١٠)مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة

ج: ١٨٢) هو يسمي باطن النبوة بالولاية، وظاهرها بالشريعة. "النبي بولايته يتلقى المعاني والحقائق من عند الله تعالى و الملك وينقلها. ويتم ذلك من خلال الكتاب والتقليد وهي الشريعة. "باعتبار أن للشريعة مظهر وداخل، فإن كل من علماء الدين، نظرا لقربهم من روح نبي الإسلام، يكتسب معرفة مظهر الشريعة وحقائقها الداخلية". (صدر المتألهين، ١٣٦٣: ٤٨٥)

إن تعيين الإمام ليس فقط لتنظيم الجوانب العملية الفردية أو الاجتماعية للناس، ولكن أيضاً لشرح التعاليم الإلهية، وشرح القواعد الفقهية والقانونية للإسلام، والحكم، وفرض الحدود، والعقوبات، والدفاع عن الدين، وفتح الصعوبات العلمية والعملية للإنسان. كما أنه من فريضة الإمام. من جهة أخرى، فكما يحتاج البشر إلى الإمام، كذلك الملائكة تحتاج إليه. لأن الإمام هو معلم أسماء الله الحسنى والملائكة يأخذون العلوم منه ويفتحون في ضوءه مشاكلهم العلمية والعملية وأخبر جوهر الحقيقة المقدس آدم ﷺ أنك خيفي وإمام هذا العصر، فأخبر الملائكة بخبر الأسماء الإلهية: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (البقرة: ٣٣) والإمام هو الرجل المعصوم والإنسان الكامل، وهو مظهر من مظاهر الاسم العظيم للأسماء العظيمة. فالأسماء الإلهية لها أي ضرورة، إنما توفرها نعمة الاسم العظيم وظهوره. هذا مظهر من مظاهر المكانة الرفيعة للإمام. فكما أنه لا يمكن لأحد أن يرصد النجوم الأبعد في السماء، ناهيك عن الوصول إليها، فلا أحد يفهم أن الإمامة لن تعطى لأي إمام. (جواد آملي، ١٣٨٩: ٢٨)

ملا صدرا في تفسير الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (جمعة: ٢)، وفي بيان صفات نبي الإسلام فيشير إلى إصلاح البشرية. كانت رسالة الرسول ﷺ لأنه كانت لديه مهمة إلهية لإصلاح البشر وإرشاده. ما جعل الرسول الكريم ﷺ لهذه المهمة هو شموليته للرسالة الإلهية التي تضمنت ثلاث خصائص تتعلق بروحه ونفسه وإحساسه. أولاً، هو إنسان كامل يعرف كل العلوم الإلهية وحقائق الأشياء. مثل الأصل الأسمى، العوالم العليا والسفلى، حقيقة الروح في نوعين، عملي ونظري، أصل الدنيا والآخرة، وحالة المخلوقات

مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة (٢١١)

في الدنيا والآخرة، التي استقبلها الله من خلال الاكتشاف الروحي. ثانياً، لديه قوة باطنية تتمثل في تمثيل الحقائق له في شكل أشباح مثالية تنتقل حتى إلى المعنى الخارجي. في هذا المجال يرى محرض الرسالة ويسمع منه كلام الله بكلمات بليغة. ويتم إبلاغه بحالات الغياب الطفيفة ويمكن إطلاعه على الأحداث الماضية والمستقبلية ثالثاً، لديه قوة جبارة يمكنها أن تهيمن على الخصوم والمنكرين وتهيمن على أعداء الله. ويخلص الملا صدرا بعد الإشارة إلى هذه القوى الثلاث في الرجل المثالي إلى ما يلي: ((فمجموع هذه الثلاث من خاصية الرسالة، فأما أحاد هذه الخواص فقد يوجد في غير الأنبياء بوجه، فإن الأولى مما يتحقق في الأولياء والحكماء، و ضرب من الخاصية الثانية يوجد في أهل الكهانة والرهبانية، و الثالثة قد تكون في الملوك الشديدة البأس و الهمة)) (صدر المتألهين، ١٣٦٦، ج ٧: ١٥٣-١٥٤).

٢-٣- المقارنة بين آراء ابن عربي وملا صدرا

يتفق ابن عربي وملا صدرا على أن للعقل البشري قدرات في الأمور النظرية والعملية، لكن القوة الفكرية البشرية لها العديد من القيود. حاول ابن عربي إثبات هذه المسألة بأخطاء الحواس. على سبيل المثال، يعتقد أن القرارات والتصورات العقلانية تتم من خلال المعلومات التي توفرها الحواس الخارجية، مثل اللمس واللمس والرؤية. في بعض الأحيان تحتوي هذه المعلومات على العديد من الأخطاء، وبالتالي فإن الإدراك المنطقي الذي يعتمد على هذه الأخطاء يتم تكوينه بشكل غير صحيح.

يشير ملا صدرا إلى محددات مختلفة على العقل البشري، بما في ذلك نقص المعرفة بالقضايا الخارقة للطبيعة، ويعتقد أن العقل البشري ليس لديه طريقة لفهم مثل هذه الأشياء. اعتبر ابن عربي وملا صدرا، بعد تناول حدود العقل البشري أن السبيل الوحيد لإصلاح ذلك هو الرجوع إلى الشريعة والإنسان المثالي الذي ينقل هذه الأمور. فالرجوع إلى الأنبياء وأولياء الله بالأسماء الإلهية، يساعد الإنسان على إدراك مختلف القضايا، بما في ذلك مسائل البرزخ والقيامة، ويصلح أخطاء الحواس الخارجية للإدراك العام. أفهم بشكل صحيح.

فالأنبياء والأولياء في آراء ابن عربي وملا صدرا مرجع للقضايا العلمية وأحكام الشريعة. بسبب القوة التي تتشكل في سموهم الجسمي، يأخذ بعضهم القدرة على تلقي

قواعد الشريعة من الحق المتعالي والعمل كشرعية. يعتقد ابن عربي أن الرسل وخلفائهم يتلقون العلم من مصدر واحد من الله، وبالتالي يعتبرون مرجعا لقواعد الشريعة. لأنهم شمس العالم والخليفة الإلهي. من جهة أخرى، يرى ابن عربي أن الأولين، على عكس الرسل، حاضرون دائماً ويتلقون علمهم من سبحانه. وفقاً لسموهم الروحي، يمكن للبشر أن يتلقوا المعرفة من الله، ولأنهم أيضاً خلفاء إلهيون، فإنهم يكتسبون سلطان هذه العلوم على الخليقة.

ومن جهة أخرى، وبسبب هيمنة العالم الصوفي على ابن عربي، كان أسلوبه في التفسير في هذا الصدد أكثر انسجاماً مع مهنته الصوفية. بينما نبل ملا صدرا على القرآن الكريم وهيمنة المفكرين العقلانيين والفلسفيين على فكره وطاعته، فإن الجانب الفلسفي القرآني في طريقته في التفسير هو السائد والأكثر وضوحاً.

٣- النتيجة

ويستنتج من هذه المقالة كما يلي:

- ١- العقل البشري من النعم الإلهية الخاصة بالإنسان وله قوى إدراكية مختلفة .
- ٢- ينقل بعض الوسطاء معلومات غير كاملة وخاطئة في تكوين تصورات عقلانية. تؤدي هذه العيوب أحياناً إلى قيود في المنطق .
- ٣- من ناحية أخرى، لا يستطيع البشر الوصول إلى جميع المعلومات المادية وغير المادية. هناك العديد من الأشياء المجهولة التي لن تصل إليها العقول البشرية .
- ٤- إن السبيل الوحيد للوصول إلى طريق التميز والكمال مع محدودية العقل البشري هو الرجوع إلى الكائن الأسمى، والذي يتحقق من خلال فهم الشريعة. ستؤدي الشريعة إلى إدراك المعلومات بما يتجاوز المواد بالإضافة إلى استكمال القيود. وأوضح كل من ابن عربي وملا صدرا، من خلال التأكيد على القيود المذكورة، طريقة إصلاحها. من وجهة نظر هذين المفكرين أفضل طريقة هي الرجوع إلى الشريعة.

٥- يجب شرح هذه المناقشات بمزيد من التفصيل من آراء المخصصين في هذه، وبالطبع تُبين للمعاصرين بشكل مقارن وتطبيقي لكي يستطيع إثبات حاجة الإنسان الحديث للدين والإنسان الكامل.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدي به القرآن الكريم

١. ابن عربي، محي الدين (دون تا)، الفتوحات المكية (اربعة مجلدات)، بيروت، دار الصادر.
٢. ----- (١٩٤٦)، فصوص الحكم، قاهره: دار احياء الكتب العربييه.
٣. ----- (١٣٨٥)، تفليس ابليس التعس، الترجمة: كل بابا سعيدي، الطبعة الأولى، تهران: نشر اميد.
٤. ----- (١٣٩١)، دفتر دانايي، الترجمة: سعيد رحيميان، الطبعة الأولى، تهران: نگاه معاصر.
٥. جواد آمللي، عبدالله (١٣٨٦)، رحيق مختوم، قم: اسراء.
٦. ----- (١٣٨٧)، نسبت دين و دنيا، التحقيق: على رضا روغني موفق، الطبعة الخامسة، قم: اسراء.
٧. ----- (١٣٨٩)، امام مهدي موعود عليه السلام، التحقيق محمد حسن مخبر، الطبعة الأولى، قم: اسراء.
٨. جندي، مؤيد الدين (١٣٦١)، شرح فصوص الحكم، التحقيق: جلال الدين آشتياني و غلامحسين ابراهيمي ديناني، الطبعة الأولى، مشهد: نشر مشهد.
٩. شمس، منصور (١٣٨٧)، آشنائي با معرفت شناسي، تهران: طرح نو.
١٠. شيرواني، علي (١٣٨٥)، كليات فلسفه، قم: دار الفكر.
١١. صدر المتالihin، محمد بن ابراهيم (١٣٤٠)، رساله سه اصل، التصحيح: حسين نصر، تهران: جامعة علوم معقول و منقول.

- (٢١٤)مراجعة آراء محي الدين ابن عربي وصدر الدين شيرازي في محددات العقل وضرورة الشريعة
١٢. ----- (١٤٢٢)، شرح هدايه الاثريه، التصحيح: محمد مصطفى فولادكار، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
١٣. ----- (١٩٨١)، الحكمه المتعاليه في الاسفار العقليه الاربعه، الطبعة الثالثة، بيروت: دار احياء التراث.
١٤. ----- (١٣٥٤)، المبدأ و المعاد، التصحيح جلال الدين آشتياني، الطبعة الأولى، تهران: انجمن حكمت و فلسفه ايران.
١٥. ----- (١٣٦٠)، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، التصحيح و التعليق: جلال الدين آشتياني، الطبعة الأولى، مشهد: المركز الجامعي للنشر.
١٦. ----- (١٣٦١)، العرشيه، التصحيح: غلامحسين آهني، تهران: مولي.
١٧. ----- (١٣٦٣)، المشاعر، التحقيق: هانري كرين، الطبعة الثانية، تهران: مكتبة طهوري.
١٨. ----- (١٣٦٣ ب)، مفاتيح الغيب، المقدمة و التصحيح: محمد خواجوي، الطبعة الأولى، تهران: معهد البحوث الثقافية.
١٩. ----- (١٣٦٦)، تفسير القرآن الكريم، التصحيح: محمد خواجوي، الطبعة الثانية، قم: نشر بيدار.
٢٠. ----- (١٣٨٣)، شرح الاصول الكافي، التصحيح و التحقيق: محمد خواجوي، الطبعة الأولى، تهران: معهد البحوث الثقافية.
٢١. ----- (١٣٨٧)، سه رسائل فلسفي، التصحيح و التعليق: جلال الدين آشتياني، الطبعة الثالثة، قم: مكتب الدعوة الإسلامية.
٢٢. محمود الغراب، محمود (١٣٨٩)، انسان كامل، ترجمة: كل بابا سعدي، الطبعة الثالثة، تهران: جامي.